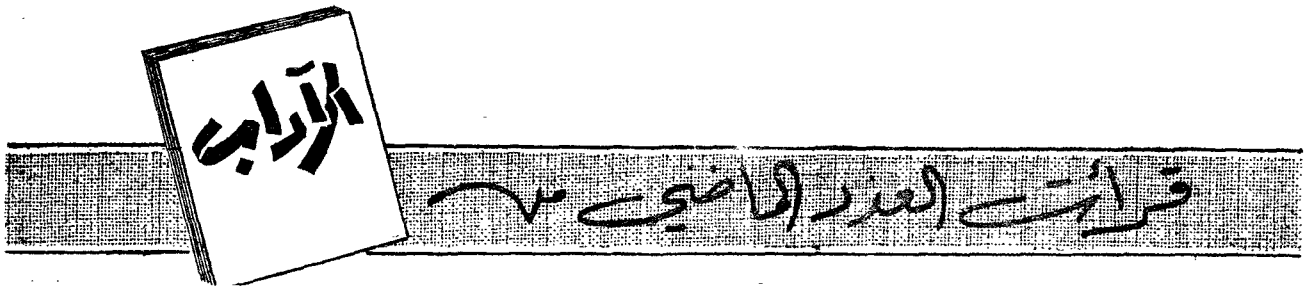

الأبحاث

بقلم سامي الدروبي

سياسة العرب الخارجية

لا اوافق الاستاذ النقاش على « ان المباديء ضئيلة الاثر في تحديد السياسة الخارجية » لدولة من الدول ، رغم الامثلة الكثيرة التي ساقها بهذا الصدد . واذا كانت هذه النظرة تصدق على الماضي، قبل دخول الشعوب في التاريخ ، فانها لا تصدق على عصرنا هذا باطلاق القول . الم تتبدل سياسة بريطانيا ازاء الهند بوصول حزب العمال الى الحكم ؟ وحين وقفت يوغوسلافيا من الاتحاد السوفياتي ذلك الموقف المستقل ، الم تستلهم سياستها من نظرة مبدئية ؟ وموقف الهند من قضايا العالم ، اليس مستمدا من فلسفة ؟ واغلب ظني ان الاستاذ النقاش يقلل من قيمة موقف الحياد الايجابي الذي يقفه العرب حين يربطه بالمصلحة وحدها ، ولا ينتبه الى القيم الانسانية التي يشتمل عليها ، ويحتضنها ،ويصونها. ان سياسة سوريا ومصر سياسة انسانية ، عدا انها تضمن مصالح الشعب العربي في شتى اقطاره .

ويقول الاستاذ النقاش : « لو ادرك الغرب مصلحته حقا ، لساير الشعور العربي القومي ، ووضع يده في يد القوى العربية المتحررة ، وبذل لها العون الاقتصادي الذي تحتاجه ، وزودها بالسلاح، وعمل على حل مشكلة فلسطين والمغرب كله يومذاك حلا عادلا ... اذن لكسب صداقة العرب ، ولا خطر لاحد ان يتلفت نحو موسكو . »

يخيل الي ان الاستاذ النقاش ينظر الى الامور هنا نظرة ساذجة. انه ينظر الى الغرب بمعزل عن واقعه الاستعماري . انموقف الغرب من العرب تمليه بنية نظامه الاجتماعي ، ويصعب ان يتغير هذا الموقف ما لم تتغير تلك البنية الاجتماعية التي تفرض على الغرب سياسة معينة ازاء العرب . ان مصلحة الطبقات الحاكمة في الغرب تتفق كل الاتفاق مع سياستها الاستعمارية . وليست القضية قضية خطأ في الحساب ، ليست قضية سوء « ادراك » من الغرب لمصلحته ، ليست قضية « غلطات » يرتكبها الغرب .

وسامح الله الاستاذ نقاش اذ كاد يكرر ما ترددد صحف الغرب كل يوم من ان الشيوعية اخذت تنفذ الى البلاد العربية على نطاق واسع ، وان نفوذ الاتحاد السوفياتي يطغي شيئا بعد شيء.

ومرة اخرى ينظر الاستاذ نقاش الى الامور نظرة ساذجة حين يعدد النتائج الحسنة والنتائج السيئة التي نجمت عن سياستنا الخارجية ، فيذكر في الثانية : انقسام العرب بشكل يؤدي الى تأخير وحدتهم ، فهل هو يقصد من الوحدة ذلك التوحيد الكاذب الذي تعد الجامعة العربية مثالا له ، ام هو يقصد الوحدة الحقيقية ؟ اذا كانت الثانية ، فنحن نرى ان هذه الوحدة لا يمكن ان تتم بدون انقسام .. انقسام يفضح الفئات الحاكمة المتواطئة في بعض البلدان العربية مع الاستعمار ، ويعزل هذه الفئات عن الجماهير العربية ، ليمهد لوحدة صحيحة يحققها الشعب العربي في سائر اقطاره حين يستلم مقدراته .

ومرة ثالثة ينظر الاستاذ النقاش الى الامور نظرة ساذجة اذ يظن ان الحكومات العربية متفقة على اسرائيل ، ومتفقة على ان المصلحة القومية العليا في الاتحاد !

ان اسرائيل صنيعة الغرب ، ومعبر للاستعمار وللرأسمالية الدولية والصهيونية ، وكل تحالف مع الاستعمار يوطد اذن لاسرائيل . فما قيمته ان تتبجح بعض الحكومات المتواطئة مع الاستعمار بمناهضتها لاسرائيل، في حين انها بسلوكها السياسي تمكن لاسرائيل ؟

ثم ان المصالح الشخصية والطبقية والفئات الحاكمة تقف بمصالحها في طريق الوحدة . وفي مصر وسوريا وحدهما ، حيث اصبح الحكم اميل الى تمثيل ارادة الشعب ، نجد اتجاها سليما في طريق التوحيد .

دلالة التكرار في الشعر

لو كنت اعرف ان لنازك الملائكة مقالة في العدد الذي كلفت بنقده من الآداب من قبل ان يظهر ، لما تعهدت بنقد هذا العدد في الظروف التي انا فيها الان . ذلكانالكتابة عن نازك الملائكة « كحدث » كبير في تاريخ الادب العربي تراودني منذ مدة طويلة ، ولكنني كنت اتهيب دائما الاقدام على هذه الخطوة ، وارجيء ذلك الى وقت اتخيل انه سيجيء ، وقت يتاح لي فيه من صفاء الفكر واستجماع النفس ما يمكنني من محاولة الارتقاء الى حيث تقيم نازك الملائكة في قممها الشامخة .

ان نازك الملائكة حدث كبير في تاريخ الادب العربي . وان عبقريتها التي جمعت بين الغريزة الشعرية الخلاقة ، وبين الفكر العلمي الفلسفي العميق، لجديرة بان تحمل بعض المفكرين على اعادة النظر فيما ذهبوا اليه من ان غريزة الشعر يفسدها التفكير العقلي ، كما يفسد الرقص انتباه الراقص الى اجزاء حركاته ، بدلا من الاستسلام لانطلاقه المتدفق ، والانسياق مع الهامه الحر . ان الفكر الصارم والوحي الثر يتعانقان في عبقرية نازك اروع ما يكون التعانق . وما اجمل هذا التواضع بعد ذلك ... ان نازك تقدم مقالتها « بداية التكرار في الشعر » على انها محاولة لا بد ان تكون ناقصة .ولكنقيمة هذه المقالة لا تقدر بانها كاملة او غير كاملة ، وانما تقدر بانها شق طريق ، بانها استكشاف ، بانها محاولة رائد ، ان هذا البحث يضيف جديدا الى البلاغة العربية .

الكاتب لا يغير المجتمع

يصعب علي ان اصدق ان الاستاذ عبدالله القصيمي كتب مقالته هذه في العقد السادس من القرن العشرين لا في نهاية القرن الماضي، او مطالع هذا القرن ، حين كان دركهايم وليفي برول وسائر اصحاب المدرسة الاجتماعية الفرنسية يبسطون نظريتهم السوسيولوجية ، ويجتذبون اليها تلاميذ يتحمسون لها ، بل يفوقون اساتذتهم في الحماسة لها ، ويمضون بها الى ابعد حدودها ، الى حدود لم يشأها الاساتذة انفسهم . فدركهايم الذي نظر الى الوقائع الاجتماعية على انها خاضعة لقوانينها الخاصة خضوع الحوادث الفيزيائية لقوانينها الخاصة سواء بسواء ، لم ينف امكان التأثير في المجتمع ، بالكشف عن قوانين الحياة الاجتماعية ، ومعرفة « الزائد » من تقاليد المجتمع ، والتنبؤ بزوال هذا « الزائد » وتعجيل ذلك الزوال . وكذلك فعل ليفي برول حين طبق النظرية السوسيولوجية على ميدان الاخلاق ، فقلب علم الاخلاق الى علم للعادات ، وهو علم نظري ثم قال ان هذا العلم النظري يشتق منه تكنيك اخلاقي ، او « فن اخلاقي عقلي » يتيح لنا ان نؤثر في الواقع الاخلاقي تأثيرا ناجعا . ويترتب على ذلك ان الكاتب الذي يستمد دعوته الاصلاحية من فهم للواقع الاجتماعي، لا من خيال جامح وامنيات ، يتنبأ بما سيكون ، ويستبق ما سيكون ، ويساعد على تعجيل تحقق ما سيتحقق .

كأنني بالاستاذ القصيمي اذن واحد من تلاميذ دركهايم الذين كتبوا في مطالع هذا القرن ، لا في هذا العقد السادس منه ، الذي مضت فيه بحوث علم الاجتماع في اتجاهات جديدة ، وشارفت افاقا من المعرفة الاجتماعية جديدة ، ملتقية مع مستكشفات علم النفس، معانقة مرة اخرى تأملات الفلاسفة ، منتهية الى ان مجرد « وعي » الواقع يبدل هذا الواقع . وأيسر ما يمكن ان نذكره في هذا الصدد ان المصاب بمرض نفسي يشفى من مرضه كأنما بضربة من عصا سحرية ، متى « وعى » ما في اللاوعي من عوامل ولدت اعراض المرض . هذه كانت مساهمة علم النفس جاء بها فرويد .

ولست استجيب هنا لدعوة «الآداب» الى مناقشة فكرة الاستاذ القصيمي ، فلو اردنا المناقشة لطال الكلام ، وانما هي اشارة سريعة . ويحلو لي ان اسوق هنا بعض فقرات من محاضرة لجان بول سارتر ، تمثل الاتجاه الفينومينولوجي في معالجة هذا الموضوع ، والمحاضرة عن « مسئولية الكاتب » ، قال سارتر :

« هذه كأس على هذه المنضدة » . انا اقول انها كأس . انا اسميها لكم . يبدو ، جليا، ان الكأس لا يعنيها هذا ، وانها لم تتغير بالتسمية التي ذكرتها وانها بقيت تماما ما هي ، في مكانها ، هذا الهواء الذي خرج من فمي صوتا لم يحدث في الظرف اي تغيير على الاطلاق . وهكذا ، اذا صح حقا ان الكلام لا يغير الاشياء ، اذا صح حقا ان الكلام جمع كلمات لا تبدل الظروف ، كان في وسع الكاتب ان يتكلم دون ان يكون مسئولا . وما دام الادب لا يستطيع ان يغير الكأس اذ يتحدث عنها ، فهو لا يستطيع ان يعمل الا شيئا واحدا هو ان يحاول نقلها بالكلمات على احسن نحو يستطيعه ، كالرسام الواقعي الذي ينقلها بالالوان ، اي ان يحاول تصوير التأثيرات المختلفة التي تولدها الكأس . وهكذا لا يكون الكلام الا تكوين عالم من المعاني على هامش العمل والواقع ، يصور الواقع دون ان يبدله ، ولا يكون الادب الا كالشعور ، حادثة ملحقة .

« ان هذا المفهوم يستند الى خطأ مشئوم نستطيع فضحه بسهولة ، شريطة ان نرجع اولا الى النظر المباشر في حقيقة اللغة ...

« صحيح انني اذ اقول : كأس ، لا اغير في الظاهر شيئا . ولكن الواقع هو انني اذ اسمي الكأس اخرجها من الظلمة بالنسبة الي وبالنسبة الى جاري الذي لعله لم يرها ، والذي لعل ادراكه كان ادراكا اجماليا يضيع الكأس في المجموع . وعلى هذا فانني منذ اسميتها قد اوجدتها بالنسبة اليه وبهذا تغير عالمه ، مهما يكن هذا التغير طفيفا . فثمة الان بالنسبة اليه شيء يوجد ، وكان من قبل غير موجود . لقد اسميت له هذا الشيء، وحين اسميته صار يشعر ان هذا الشيء جزء من عالمه وان له معه الآن شأنا .

« ... ان وعي شيء من الاشياء هي تبديل لهذا الشيء .

« كيف هذا التبديل ؟

انه اولا ، في عالم من المعرفة الانسانية والشعور والثقافة ، نقل الشيء من الفعل الى الوعي . اننا جميعا نقوم بطائفة من الاعمال نريد ان نجهلها لاننا نريد ان لا نكون مسئولين عنها . فنحن نفهمها دون ان نتنبه اليها ، وندعها في عالم الصمت . وتنقضي حياتنا هكذا : ندع لعالم الصمت اعمالا بعينها لاننا نريد ان لا نسميها . وان ندعها لعالم الصمت فمعنى ذلك اننا نفعلها دون ان نشعر بها شعورا واعيا ، دون ان نعود اليها لنراها : فنحن نعمل ولا نرى انفسنا نعمل .

فاذا اسميت احد هذه الاعمال كنت اسلمه لصاحبه رأسا ، قائلا له : « هذا ما تفعله انت الآن . دبر حالك » فالشيء الذي اسميه هكذا يتعرى من براءته ، فاللغة تعرى ، ان صح التعبير ، انها تعرى الفعل ، وتضع الشخص ، في الوقت نفسه ، امام مسئولياته .

« ليس اضطهاد الزنوج شيئا ما لم يقل احد الناس : الزنوج مضطهدون. والى ذلك الحين لا يدرك احد ذلك ، وربما لم يدركه الزنوج انفسهم . ولكن تكفي كلمة واحدة حتى يصبح لهذا الامر معنى .

« ومنذ اللحظة التي اسمي فيها لجاري سلوكه يعلم جاري ماذا يفعل. ويعلم فوق ذلك انني اعلم ذلك . وموقفه مني يتغير تبعا لذلك . انه يعلم ان اخرين يعرفون ماذا يفعل، او يمكنهم ان يعرفوا ذلك ، فيخرج عمله من الذاتية ، ويدخل في الفكر الموضوعي .

« وقوام الادب ، لانه من النثر ولانه يسمي ، هو ان ينقل الظاهرة التي لم يتناولها الوعي والتي لعلها كانت مجهولة ، الى افق الوعي والفكر الموضوعي .»

هكذا تكلم سارتر بلسان الفينومينولوجيا التي يتعانق فيها علم الاجتماع وعلم النفس والنظر الفلسفي . وبهذه اللغة نفسها يتحدث علماء هذا العصر ومفكروه . اما مقالة الاستاذ القصيمي فهي تتجاهل مستكشفات نصف قرن من البحث العلمي والتأمل الفلسفي.

على ان ترداد هذه النغمة من حين الى حين قد لا يخلو من فائدة ، اذ يذكر الذين يدبجون كتابا وهم يتخيلون انهم سيقلبون به المجتمع راسا على عقب ، يذكرهم بان الامر اعقد من ذلك واخطر . هذا وان في المقالة ، مقالة الاستاذ قصيمي ، لجمالا فنيا ، وان لطريقته في التعبير، هذه الطريقة التي تعتمد على الـContraste، والـPara dox لكثيرا من الروعة . تذكرت ، وانا اقرؤها خطبة الجيل « قالوا لكم ..واقول لكم ..»

الشعر الغزلي الفرعوني

ان يترجم الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد اغنيات غزلية من الشعر الفرعوني ، وان يكتب مقالة في شرح هذه الاغنيات وفي اظهار روعتها ،

فهذا كله جميل ومفيد. اما ان يبرر عمله بان الشعر المصري الحديث يعاني ازمات خطيرة ، وان احد جوانب الخروج من هذه الازمات ان يطلع الشعراء على الشعر الفرعوني ، علهم يطورون شعرهم نفسه ، فذلك ما ليس به اليه حاجة . لقد ذكرني الاستاذ مجاهد بصديق لنا نشر ذات يوم كتابا عن رامبو ، وقدم له بكلام يشعرك انه بنشر هذا الكتاب يسهم في انقاذ الامة العربية مما هي فيه من تخبط .. لقد ضحكت يومئذ .

وانتقل الى الكلام على الترجمة ، فاسال الاستاذ مجاهد ، لماذا حرص على نقل هذه الاغنيات « شعرا » ؟ غفران الشعر ، ان اسميت هذه الترجمة شعرا ، على ما اراد الاستاذ مجاهد ، حين صدرها بقوله « الصياغة الشعرية » ! كنت اوثر لهذه الاغنيات ان تنتقل الى العربية نثرا ، اذن لاحتفظت بجمال فقدت كثيرا منه في هذه « الصياغة الشعرية » موسيقى الشعر عندي جناح ينقل اليك المشاعر والصور والمعاني خفيفة رشيقة ، فتدخل الى قلبك من اذنيك كانها النسيم او الطف . اما ان تكون الصياغة الشعرية مركبة تقرقع ، فتذهلك عما تحمله من ازهار ذات عبق ... فهذا هو المركب الصعب . وصدق كروتشه حين قال ان المرء ليحتمل النثر الرديء ، ولكنه لا يحتمل الشعر الرديء .

من اجل ثقافة « أفريقاسيوية »

في بحث مالك بن نبي مغامرة فكرية لا اعرف ما الذي يدفعه اليها من الدوافع التي تثوي احيانا في قرارة اللاشعور ، ولكنني احس انها مغامرة محفوفة بالمخاطر مهما يتسلح لها بثقافة واسعة ، وفكر قوي . وقد خيل الي حين قرأت الفقرة الاخيرة من بحثه انه تعب هو نفسه من المغامرة ، فتنازل عنها ، او زهد بها ، اذ قال : والذي نعنيه هو ان تبتعث المشكلة من مؤتمر للثقافة الافريقاسيوية يجد مبدأه فيما عبّر عنه في منشور باندونغ الختامي تحت عنوان « التعاضد الثقافي . »

فبعد ان كان يتحدث مالك بن نبي عن الانسان الافريقاسيوي ، وعن الحضارة الافريقاسيوية ، وعن الثقافة الافريقاسيوية، تواضع فكاد يكتفي بتعاضد ثقافي بين الدول الاسيوية الافريقية المشتركة في مؤتمر باندونغ. وواضح ان التعاضد الثقافي شيء ، واللون الثقافي الواحد شيء اخر .

والسؤال الذي يطرح : هل هناك لون حضاري واحد يشمل جميع الشعوب الافريقية الاسيوية ؟ او هل هناك انسان افريقاسيوي ، على تعبيره ؟ نحن نرى ان هناك انسانا ، وان هناك الى جانب هذه الصفة الانسانية الشاملة ، انسانا عربيا واخر هنديا او صينيا او غيره.

على ان الكاتب يطرح المشكلة كلها على صعيد نضالي ، انه يفترض مبدئيا ان هناك انسانا افريقاسيويا ثم يتساءل عن السبيل الى انشاء ثقافة افريقاسيوية واحدة الى خلق عنصر الثقافة التي تنزع الى تبديل شروط وجود الجماهير الافريقية الاسيوية وهو يستشهد على هذا بالثورة الصينية التي غيرت الانسان، بتغيير وسطه الثقافي، وذلك بخلق بيئة جديدة. والفرق بين نظرة الاستاذ مالك بن نبي وبين نظرتنا ، هو ان الثورة الصينية لم تكن خلقا ، بل كانت بعثا . فالانسان الصيني موجود قبل الثورة الصينية ، ولكنه كان غافيا، فجاءت الثورة بتحقيق الشروط الجديدة، تهيء له ان يُبعث وان يعبر عن نفسه تعبيرا جديدا . هذه هي المشكلة التي يكاد يتوه الكاتب في مقاله كله عن اثارتها : مشكلة البعث القومي . ان الرابطة التي يتصورها بين الجماهير الافريقاسيوية هي رابطة المنطقة الجغرافية (وهل يصح حقا الحديث هنا عن منطقة واحدة !) ناسيا النزوع الحديث الى تعاون الامم بثقافاتها المختلفة في تكوين انسانية واحدة تعبر فيها كل امة عن اصالتها وطابعها ، وتحمل اليها كل امة لونها الحضاري . لقد تجاوز العالم طور حضارة المدنية وطور حضارة المنطقة ، واصبحت الحضارة تمثل مستوى لنزعة انسانية شاملة تساهم فيها كل امة بشخصيتها ذات الطابع الخاص، وحين تلتقي شعوب مؤتمر باندونغ على صعيد مناهضة الاستعمار ، فلا يمكن ان يعد هذا « رسمالا » لحضارة، وليست هذه المناهضة للاستعمار وقفا على الشعوب الافريقية الاسيوية .

وبعد ، فان هذا التخبط كله ما كان ليقع فيه الكاتب لو شعر وهو يكتب ، بانه ليس كاتبا فحسب ، بل كاتب ينتمي الى حضارة عريقة هي الحضارة العربية .

عار « وليامز » الخصوصي

لا ادري هل للاستاذ محي الدين محمد عناية خاصة بالادب التمثيلي ، ولكن هذه المقالة المهورة بتوقيعه تشعر بان كاتبها قد قرأ مئات التمثيليات على مسارح فرنسا وانجلترا والمانيا وامريكا .. وتشعر بان كاتبها من المتخصصين في الادب المسرحي بل وفي فن المسرح . واذا كان الامر كذلك ، فلست اجرؤ على القطع برأي فيما تأتينا به المقالة ، لانني لست ممن اتيح لهم التعمق في دراسة الادب المسرحي، رغم ما اتيح لي من شهود عدد كبير من المسرحيات في جميع عواصم اوروبا . على انني احس احساسا غامضا بان المقالة تمتاز بعمق النظرة وشمول الثقافة، فضلا عن ان صياغتها جميلة ، لولا بعض العبارات التي تشم فيها رائحة الترجمة الحرفية . ولا اكتم القارىء انني تساءلت بعد ذلك : هل تلبي هذه المقالة حاجة لدى القارىء العربي ، وهل تعالج مشكلة من مشكلات الفكر العربي المعاصر ؟!

قصة السرطان

يحب صديقي الدكتور منذر الدقاق ان يكتب مقالات يبسط فيها حقائق العلم والطب ليسيغها جمهور كبير من القراء . ولكنني لا ادري هل يرضى هو نفسه ان تنزل مقالته هذه في منزلة « بحث الشهر العلمي » رغم ان قراءتها تهيء ما لا سبيل الى انكاره من فائدة ومتعة .

دمشق — سامي الدروبي

البخلاء

للجاحظ

الثمن ٦٠٠ ق.ل.

- البخلاء في نوادرهم ونصائحهم وفلسفتهم يرويها الجاحظ باسلوبه الساخر
- انه الكتاب الاعظم متعة بين جميع ما اخرجه العقل العربي من كتب

الناشر : دار صادر ـ دار بيروت

القصائد

بقلم احمد عبد المعطي حجازي

ليست لي رغبة في مقدمة طويلة ، لانها قد تنحرف بي عن غرضي ، ولان الداعي لها قليل ، فالمطلوب مني الآن ببساطة ، ان اقرأ شعر العدد الماضي ، وفي العدد الماضي تسع قصائد ، وان اضع على هوامشها ملاحظاتي، ثم انقل هذه الملاحظات على ورق ابيض، وابعث به الى الآداب.

والحق ان هذا الذي يطلب مني ببساطة ، يصعب علي تنفيذه ، فانا اقرأ اغلب شعر الاداب باستعداد المتلقي ، فليس لي صبر على ارتداء ثياب النقاد الوقورة واصطناع مشاعرهم المتأنية التي ترضى بقدر وتسخط بقدر .

ا قاريء متحمس اهلل او العن ، وانا اجد في ذلك سعادة هي سه الاستجابة المباشرة لشعوري ازاء الابداع في شكل من اشكال الفن او الحياة .

لكن الامر الآن يختلف .. اختلافا بعيدا ، فقد حرمت بطلب التعليق على شعر العدد من امتلاك هذا الحق .. حق الحماسة والاستجابة المباشرة لاول انطباع . ولا مفر من التأني واستشعار وجود كل شعراء العدد معي، اثناء القراءة ، والكتابة ، بل واستشعار وجود كل قراء الاداب والمهتمين بشؤونها وفيهم اساتذتي ورواد المدرسة التي ما زلت انا تلميذا في بنايتها الشاهقة .

نعم ...

انه شيء يستحق مني الاهتمام ، ولكني اعتذر لنفسي بخصلة من خصالي فانا ارحب بالعمل ما دام عملا مخلصا .

وها أنذا اكتب بعد ان قرأت كل قصيدة مرات عدة ، واستشعرت الحب لكل شاعر اشترك في هذا العدد باسم الزمالة في الموهبة وفي السعي نحو حضارة جديدة على ارض العرب .

يبدو فعلا انني كتبت شيئا يشبه المقدمة !

ويبدو انه لا مفر من هذه المقدمات ، انها تشبه التمنع الذي تصطنعه فتاة شرقية راغبة لكي تتصرف بعد ذلك بحرية.

والآن لنتصرف بحرية .

المجوس في اوروبا ـ خليل حاوي

اول ما يطالعنا في هذا العدد ... وجه عربي اصيل ، لم تستطع كمبردج في انجلترا ان تسرق منه ملمحا واحدا ، لا النغمة ، ولا الارتباط العميق بقومه في المشرق . ومنذ ان بدأت « الآداب » تنشر قصائد خليل حاوي وانا اتتبعه بحب واعجاب واعتقد ان قراء الآداب يشاركونني هذا الشعور ، ربما كان مرد ذلك لنفس الملاحظة التي اوردها الزميل نزار قباني في تعليقه على شعر العدد الماضي ، فالقالب الشعري عند خليل حاوي اقرب ما يكون الى العمود القديم ، بل ان في قصائده ابياتا عديدة جاءت في حدود البحر ، لكن الاستاذ نزار لم يتتبع الظاهرة حتى علتها فهذا الشاعر مرتبط ايضا بطريقة الشعر التقليدي في الاداء . ان قصيدته غالبا تحمل رأيه في التجربة ولا تحمل التجربة ذاتها ، وهي الطريقة التي يثور عليها معظم الشعراء الشبان . فالتجربةفي هذه الطريقة لا يمنحها الشعر الا الشاعر نفسه وهي تصبح خطبة اذا لم يكن صاحبها شاعرا ... ومعنى هذا ان للطريقة التي تعرض بها التجربة دخلا كبيرا في كشف منابع الشعر فيها . فالتجربة احيانا تتناول وهي في وضع يضيء زواياها الشعرية الكامنة فيها ويمكن للشاعر استغلالها ، وقد توضع التجربة بشكل يخفي هذه الزوايا وعندئذ يصبح على الشاعر وحده ان يعطيها الشعر بواسطة حذقه وطول ممارسته للكتابة ، اي ان اختيار الطريقة نفسه عمل من صميم الشعر . والشاعر خليل حاوي يتبع في معظم الاحيان الطريقة الاخيرة مدفوعا بحبه للتنغيم والارتباط بالموسيقى القديمة المألوفة ، ولكن شاعريته الكبيرة تحميه دائما من الخطر الذي نخشاه .. وهو في هذه القصيدة يسخر من الحضارة الاوروبية الزائفة التي تميع الفكر وتقتله في عيد المساخر وضباب الفحم ... في اوروبا .

ليلة الميلاد ، لا نجم
ولا ايمان اطفال بطفل ومغاره
ليلة الميلاد ، نصف الليل ،
شارع يفرغ ... ضحكات حزينه .

وعندما تكون الضحكة حزينة ، اي عندما يتعكر العمل الانساني بعمل اخر يضاده ، لا تكون الحرية ولا الامن ، وانما تكون حضارة زائفة ميتة ، ومع ذلك فما زال عندنا في الشرق من يسجدون لها .

نحن من بيروت ، مأساة ، ولدنا
بوجوه وعقول مستعاره
تولد الفكرة في السوق بغيا
ثم تقضي العمر في لفق البكاره
اخلعوا هذي الوجوه المستعاره .

بحيرة الزيتون ـ يوسف الخطيب

انا مرتاح جدا للنغم المتأني الحزين ، الذي يسيل في هذه القصيدة الحزينة ، وانا احس انني في حاجة دائما لترتيلها كما احس احيانا انني في حاجة ماسة للبكاء ، ولا ارحب ان يدفع هذا الكلام واحدا من المتحمسين ليقفز في العدد القادم ملقيا علي انا وعلى الشاعر خطبة في فضائل التفاؤل والايمان بالنصر . لانني جد متفائل ، ولا يشوب ايماني بالنصر ذرة شك وكذلك الشاعر ولا شك ... بل كذلك قصيدته هذه الحزينة ذات النغم المتأني الحزين . وليوسف الخطيب شاعر مأساتنا في فلسطين نذكر هذا الفضل ، فضل جعلنا دائما في حالة حضور مع مأساتنا :

تظل جدائل الزيتون طول العام مرخيه
على دار لنا في وحشة الاطلال منسيه
يلوح ركامها المهجور اشباحا ضبابيه
... وفيما يسقط الزيتون في الريح الخريفيه
. . . . . .
تفيض بحيرة مسحورة الاضواء قدسيه

تصور ، لقد اعطى الشاعر ارتخاء جدائل الزيتون صفة العمل الارادي، فصارت مرخية بارادتها .. انه فيما هو يصور حزن الزيتون ويشركه في الشعور بالمأساة ، بكلمة « مرخية » يضع شيئا اكثر من ذلك .. يجعلك تحس ان الزيتون فعل ذلك بارادته من فعل « تظل » وعندئذ تخرج من هذا البيت الحزين بشعور رائع هو ان نفس الشاعر تتوهج بالحيوية والتوثب والاستعداد وحب الارض التي تضم الزيتون والريح الخريفية والبحيرة المسحورة ... ومن ثم تنتقل لك هذه المشاعر فتهتف معه وانتما تنظران الى القرية المحتلة من خلف الاسلاك الشائكة :

اقريتنا ، بلاك ، بلا تراك الخصب ، من نحن ؟
تكاد خيامنا ـ حتى اليوم ـ يريبها الظن !

سوى انا ، وان طال الزمان ، وشاخت السن .

ففي ارحام نسوتنا ، بذور الثار نجتن .

والبيت الاخير رائع ، ان الرجل والمرأة العربية يخصبان لهدف ابعد من اللذة : للثار !

وبعد .. فانا لم اتحمس لطريقة البناء في القصيدة .. ان الاغاني التي يترنم بها الصقر ، والنجم ، لم تكن في حاجة الى مقدمات يقول فيها الشاعر انه سأل الصقر والريح فقالا كذا .. وانه سأل النجم فقال كذا ....

ثم ... هذا البيت ... لم خرج عن الوزن المفروض ؟

تحوم على جدار .. كان للاحلام ، كان .

رسالة من القرية الشمالية ـ يوسف الصائغ

ليست فيها ـ وانا آسف ـ الا

من الحقول ـ حيث لا حقول في الشمال .

انا اشد بسمتي اليك .

اغنية خضراء ـ صلاح عبد الصبور

صلاح عبد الصبور ، شاعر مجتهد يتعب ويعرق من اجل الحصول على كلمة هو ، وهوفي سبيل ذلك دائم الرحلة في الكنوز التي تعطى للثقافة العربية في مصر عبيرها الخاص ، الاغاني الموروثة ، الف ليلة وليلة ، حوانيت الجدة ، القرآن، كل ذلك من مصادر صلاح عبد الصبور شكلا وموضوعا ، وقصيدة « اغنية خضراء » فيها من هذه الكنوز خيران كثيرة . انها اولا تجربة الجيل المثقف الذي يضم صلاح والذي خرج للحياة ليفتح عينيه على مثالين جديدين للحب والمجتمع ، وهو لذلك يشعر بقسوة الجفاف والجدب الذي يحيط به في مجال العاطفة وفي مجال الحياة ، ان جيلنا يضيع عمره في الليالي المتخمة بالاوزار والافكار ، انه يتمزق لانه يمارس ما لا يعتنقه ، ويعتنق ما لا يستطيع ان يعبر عنه ، شيء واحد سلم لجيلنا .. الامل والتفني به ...

ومجال صلاح في هذه القصيدة عالمان .. الاول عالم الغربة التي نفي اليها الشاعر وهو يعبر عنها في القصيدة تعبيرات مختلفة .. التيه ، الصحراء ، الليل ، الاوزار ، الايام الجائعة .. والعالم الثاني اخضر ، والخضرة تتردد في القصيدة كثيرا .. الاغنية خضراء ، والمحبوبة فيروز . وهي خضراء العينين باون الامال .

فليشملني ظل العينين الخضراوين

ولتخضر الكلمات بروحي

ولترقد ليلاتي في بحر السعد الاخضر

ولتورق خضراء الاصباح

خضراء بلون الفيروزه

وبين هذين العالمين تسبح اغنية صلاح من الشوق الى الليل الى وفود الملكين (الشعر والحب) واخيرا الطرق على باب فيروزه .

انها دعوة مخلصة لاننا ظماء حتى البكاء ولكننا نعرف ان اجداب عصرنا مصطنع ، وان امكانيات الخصب المخبوءة فيه كبيرة ، ونحن كذلك نعرف اقدارنا .

فلتفتح لي الابواب فقد اقصاني الحجاب

ومكاني لم يملأه غيري انسان

يا حبي

فلتفتح لي الابواب ، انا الشادي الفارس

اشعاري ورد البستان

تمر الركبان على الوديان

وانا من فتيان القريه

اوفاهم في الحب

وشجاعة قلبي مرويه

انها من انجح قصائد صلاح عبد الصبور ، كل شيء فيها مختار مقدر ، ومنذ ان اخرج صلاح ديوانه الاول وهو يبدأ مرحلة جديدة يسعى فيها نحو ايجاد المصطلح الذي يلتقي فيه مع قرائه بسهولة ـ كما نبهنا الى ذلك بدر الديب صاحب مقدمة ديوان «الناس في بلادي ». ان صلاح عبد الصبور بعد ان حطم في ديوانه الاول المصطلح القديم يسعى كما نسعى جميعا لاكتشاف المصطلح الجديد . واول ما يمكن عمله في سبيل ذلك ، هو تفجير القوى النغمية في الشكل الجديد ، ولهذا العمل فائدة كبرى ، فمعرفة الشاعر بهذه الامكانيات ودراسته لها وترويضها على اعطاء نفسها له يضع يده على اول الطريق للوصول الى المصطلح الجديد .

ملاحظة واحدة احب ان اوجهها لصلاح ، هي انه وضع مفتاح عالمه الشعري في يد الكلمات البخيلة ، كل كلمة بمفردها ، وقد جعل هذا رحلة القارىء العادي في القصيدة شاقة وربما مؤسفة .. كنت سأدعوه الى تجربة وسائل اخرى كالمشهد الواقعي المقتطع من الحياة اليومية ، والحوار ، ولكني تذكرت ان هذه القصيدة لا تحتمل ذلك لانها اغنية .

شاطيء نهد ـ صفاء الحيدري

تنهدات صوتية ملونة ليس فيها شيء مربوط الصلة بالكلمة التي وضعت بجانب اسم الشاعر السعيد .. « بغداد » . ان هذه الكلمة بجانب اسم عبد الوهاب البياتي وعدنان الراوي ، وبدر السياب لها طعم آخر !..

اغنية للصامدين ـ ناجي علوش

انا أكره الماكياج خاصة ذلك الماكياج الثقيل الذي لا تكاد الملامح الحقيقية للوجه تظهر من تحته ، وقصيدة الاخ ناجي علوش برغم احساسي بصدق الشاعر وسمو الهدف الذي يدفعه للكتابة لا تكاد تظهر من تحت المحسنات التي تثقل ملامحها ..

الليل يثقله الانين

منشود

الرواية التي كانت مرشحة لنيل جائزة جمعية اهل القلم في لبنان ، ثم لعبت الاهواء لعبتها في صفوف اعضاء اللجنة الحاكمة، فتقرر منع الجائزة لحرمانها اياها .

والرواية للاستاذ :

نسيب عازار

مؤلف كتاب : «**نقد الشعر في الادب العربي**»

دار المكشوف ـ بيروت

وانا وانت حكايتـــان

تتوهجـــان

ان هذه الصفة التي احتلت مكان بيت كامل زائدة ولا تفيد الا تنغيما مفتعلا لا حاجة لنا به ، وكذلك يفعل شعراء كثيرون .. والشاعر الـذي لا يستطيع ان يشكل البيت بحيث يستوعب الموصوف والصفة شـــاعر عاجز الا اذا كان يفعل لضرورة فنية ..

وهذه الصفة :

حلمت بها ايـامنا العفنات ... ايام الهوان

انها تستعمل بكثرة ، وهي هنا في غير موضعها ، فالعفن يفيد فسـاد الشيء ذاته وايامنا ليست عفنة وان كان فيها اشياء عفنة ، ولقد كـان يمكنني ان اقبل هذا البيت دون ان اتحرى هذه الدقة الموضوعية لـو انني متأكد ان هذا الوصف يوضع دون تحديد ودون قصد ، ان الشعراء يلقونه في قصائدهم وهم يعبرون عن ضيقهم بالحياة ..

وغير ذلك ، فالقصيدة مثقلة بالصفات التي لا داعي لها الا رغبـة الشاعر في تنفية انفعالاته القوية التي لم يستطع ان يعبر عنها بواسطـة الصور تعبيرا يضع عواطفنا تحت تصرف وهجها ..

فالليـل مختنق الشكاة

ولصوصه .. يتدافعون .. ويبحثون ..

عن معقل .. يسع الجناة (يقصد « يسعهم »» فالجناة هماللصوص)

عن معقل .. لا تستطير اليـه .. ريح العنفوان

وتضـج فيـه مقلتـــان

تتوقـدان

وتمزقان .. رؤى (اللئيم) رؤى (الاثيم) .. رؤى الجبان

ان القصيدة تتأرجح بين الصياغة الكلاسيكية وبين الصياغة الجديدة تبدو فيه كل منهما غير جيدة .. ولكن هناك تعبيرات اعجبتني وهي التي تشير الى ان ناجي علوش زميل موهوب مثل :

من قبر والدك الذي دفنوه في عـين الزمـان

لترى ارتعاش النور في « وهران » اغنيـة السنين

عذابات الليـل ـ كمال عمـار

تجربة صادقة جدا نحسها كلنا وهي نفس تجربة صلاح عبد الصبور ، وهي نفسها تجربة لي كتبت فيها قصيدة « الى اللقاء » التي ربمـا نشرتها الآداب قريبا *

ان كمال عمار مثل كل الشبان المثقفين يخشى النهار ويحب الليـل لان فيه الاصدقاء ، وفيه الكلام عن تجاربنا العاطفية ، وفيه الهروب مـن المواقف المذلة الموجودة في جو العمل بالنهار .. انها تجربة حية لكـن بعض تعبيراتها ما زالت غير واثقة بنفسها..

كالعائد من تشييع صديق وارته الارض

ما الداعي الى « وارته الارض » . ان تقديس الارض والاشـادة بها لا يدعونا لحشرها في كل تعبير ، وهناك ملاحظة اخرى احب ان اوجهها الى كمال والى زملاء آخرين يجربون الاستفادة من الاسلوب الحديث العادي ، وهي ان هذه التجربة لا تعني ان نترجم التعبير كاملا الـى الفصحى ثم نلصقه في قصائدنا لان ذلك ينقل التجربة من الابـداع والتجديد الى حضيض الاسفاف !

واخيرا .. كنت احب ان لا يستطرد الشاعر ويتحدث عن ضوضـاء النهار .. لقد فتتت ذلك الجربة وقلل من تأثيرها ..

(*) هذه القصيدة منشورة في هذا العدد (الآداب)

احلام صياد صغير ـ حسن فتح الباب

حسن فتح الباب شاعر صديق هيأت له تجربة حياته كضابط بوليس ان يتعرف على الحياة الحقيقية التي يحياها معظم مواطنيه ، ومعظـم قصائده التي كتبها عن الصيادين تحمل فعلا تجارب صادقة صـادفهـا بنفسه اثناء جولاته في الليل والنهار كضابط وكشاعر في احدى قرى المنوفية (اقليم من اقاليم مصر العليا) .. لكن هذه القصيدة بالذات لم تعجبني وانا ارى مستواها اقل كثيرا من عدة قصائد رائعة قراتهـا وأسمعني اياها وكلها تدور حول حياة الصيادين الفقراء المتناحرين على السمك الصغير الراقد في اعماق بركة كبيرة تقع عليها القرية التي كان يحكمها الشاعر ..

واول ما الاحظه على هذه القصيدة انها بلا تجربة ، وهذا ما دعا الشاعر الى بعثرة طاقته في كتابة مقدمة طويلة قبل ان يتحدث عن الصيـاد الصغير ..

ثانيا .. الاحظ نفس الملاحظة التي اوردتها اثناء الكلام عن قصيدة ناجي علوش ، وهي ان التجميل الخارجي يثقلها بشكل ملفت ..

والملاحظة الثالثة هي ان قصيدة عبد الوهاب البياتي في نغمها وطريقة بناء صورها تسربا الى هذه القصيدة في غفلة من الشاعر ..

واخيرا .. وانا اعرف حق المعرفة شاعرية حسن فتح الباب واصالته اؤكد ان هذه القصيدة فرت من بين يديه بعد كتابتها مباشرة دونمراجعة!

رقصات اشبيلية ـ عبد العزيز عبد الفتاح محمود

ليس في هذه القصيدة الا بيت :

افق الشرق يطل على السـور

ولكل الشـعراء العرب تحياتي .

القاهـرة — احمد عبد المعطي حجازي

القصص

بقلم محمد صدقي

لا اعتقد انني اتواضع اذا ابتدأت حديثي مع اصدقائي قراء مجلة الآداب وانا استهل حديثي اليهم في مناقشة قصص العدد الماضي بقولي .. انني لست بناقد ..

لكنني لكي احقق رغبة « الآداب » في مناقشة قصص العدد الماضي.. ارجو ان يكون واضحا ان السطور التي ساكتبها حول تلك القصص ليست نقدا ادبيا فنيا متكاملا .. بقدر ما هي علامات طريق لاحظتها وانا استمتع بقراءة هذه القصص .. اسجلها وانا ادرك تماما ان رسالة النقد فـي رايي انما هي عملية بناء مقومة وليست عملية تقويض وهدم .. عمليـة ليس لها من هدف حقيقي الا الرغبة الصادقة للمساهمة في البنـاء ... المساهمة التي يتوخى الناقد معها استكشاف الجوانب الرائعة المزدهرة المضيئة في العمل الفني .. قبل ان يبحث عن جوانب الضعف فيه ..

وابدا بتناول الفصل الثاني من رواية الدكتور سهيل ادريس الجديدة .. الفصل الذي يحمل عنوان « الليل والعمامة »

انه يعرض بطل القصة سامي وهو يبيت ليلته الاولى خارج منزله .. حين يدخل المعهد الديني من اجل ان يحقق رغبة والده في دراسـة امور الدين ..

والدكتور سهيل ادريس مع انه هو الذي يقدم لنا بطل القصة عـلى

لسان الغائب .. الا انه مع ذلك يدع سامي يجتر احساسه بالعالم الجديد حوله في استقراء داخلي لنفسه ..

فهو حين يصفه يشعر بالليل والوحدة من حوله .. حين يقدم لنا بطل القصة وهو يجتر شعوره في غربته بين تلك الجدران الاربعة التي ينام داخلها ليلته الاولى بعيدا عن اهله .. يملأ وجداننا بمقدرته على عرضه لاستشفاف وجدان سامي للصور والعواطف الاهلية السابقة على دخوله المدرسة .. والتي يبني عليها الدكتور سهيل ببراعة فنية استقباله للحدث الجديد الذي يعيش لحظاته ..

لقد حاولت امه ـ ام سامي ـ ان تثنيه عن دخول المعهد الديني ... لقد قالت له .. ان ذلك سيكون قاسيا عليه .. وانه قد لا يحتمل الحياة الدينية وهو بعد صغير في مثل تلك السن ..

ويواصل الدكتور سهيل ادريس اضاءة الجوانب الداخلية في نفس سامي خلال اجتراره للاحاديث التي دارت بينه وبين امه .. وبين امه وابيه .. حول التراكمات العقائدية التي تدور احداث القصة في مجالها وحول وصف تأثيرها على تلك الاسرة حين يتحرك في مدارها ابطال القصة .. والتي تستهدف القصة خلالها مناقشة قضية البعث في الاسرة العربية .. البعث الذي تمور ارهاصاته في نفسية سامي .. تحت ركام سميك من المحاولات المتنوعة التي يعانيها سامي خلال الفصل الاول والثاني من الرواية ..

فحدث لبس العمامة والجبة الذي يتعرض له هذا الفصل يعبر بأكثر من وسيلة فنية ونفسية عن وضع علامات كثيرة على طول الطريق الذي سينتهي بالبعث الذي اعتقد ان نفس سامي ستنبهر له في نهاية القصة ...

ندرك ذلك ونحن نعيش بين سطور الفصل الثاني مع سامي .. وهو يصحو من نومه في ليلته الاولى ليقفز من سريره ليصلي الفجر في ذلك الجو الديني الجديد عليه ، هنا على الرغم من استشفافه لروحانية ذلك الجو واحساس التواجد بينه وبين وجدانيات علاقاته بأبيه حين كان يصلي الفجر في تلك القرية التي كانوا يصطافون فيها منذ عام ..

ويصلي سامي الفجر مع زملائه الطلبة كما يهبط معهم بعد ارتداء ملابسهم الى قاعة الدرس ليبدأوا حفظ القرآن ..

ومن خلال ذلك الوصف الرائع لحجرة المذاكرة وسامي بين زملائه في الفصل يستمع لشرح المدرسين مواد الدين والعلوم واللغة الفرنسية وشعور القرية قد بدأ ينجاب عن نفسه قليلا ليملأ قلبه باحساسات جديدة تنساب الى وجدانه كلما هبط الليل وحن الى اخوته ورفاقه في الحي .. حتى يقبل ابوه بعد ثلاثة ايام يزوره مع احاديث الشوق فتدمع عينا سامي وهو يحدثه .. كيف اشتاق هو الاخر الى منزلهم ، والى امه ، حتى اوشك ان يهرب من المعهد ليراهم .. ثم يطول الحديث بينه وبين ابيه حتى يغادره بعد ان يعطيه طعاما كان قد احضره له في صرة قبل ان يلحق به ويستوقفه بسؤاله :

ـ انك لم تقل لي متى سيلبسوننا العمة .. والجبة ..؟

والعمة والجبة رمزان هامان يعبران عن اشياء كثيرة في القصة وتدور حولهما احاديث واوصاف واحداث تشكل فيما اعتقد نمو ارهاصات قضية البعث الذي يعالجه موضوع القصة .

وحين يجيب الاب على سؤال سامي بأن الخياط السوري سيصل بالجبب بعد غد ... « وانني قد اوصيت بك الناظر خيرا ... ولكنهم يفكرون في انك لا زلت صغيرا ... وانه يحس تأجيل الباسك الى السنة القادمة او التي تليها ..»

حين يجيب الاب بذلك الجواب على سؤال سامي .. يعرض لنا مؤلف القصة لحظات نفسية معبرا عنها بغاية الجمال في ادائه الفني ... مصورا تلك اللحظات الانسانية التي تتأزم فيها نفسية سامي حتى يصل الى قمة الاحساس بذلك الحدث الانساني في اعماق بطل القصة وهو يقول لابيه « .. اذا كان الامر كذلك فاني لن ابقى في هذا المعهد يوما واحدا ..»

ويدور حوار بين سامي وابيه .. ينتهي بأن يطمئنه ابوه بأنه قد تحدث مع الناظر طويلا .. وانه لا بد سيلبس العمة والجبة ..

وتمضي الايام بسامي في المعهد الديني ..

الطلبة ينتظرون معه الخياط الذي سيأتي بالجبب في صبر نافد حتى يسمعوا من الناظر ان الخياط سيأتي غدا .. فلا يكادون يصدقون كأنما دمشق التي يقطنها ذلك الخياط في اقصى الارض ..

لكنهم بعد ان يفرغوا من دروسهم يتناولون طعام الغداء في ذلك اليوم ثم يعودون الى فصولهم الدراسية يفاجأون بالخياط في وسط القاعة الكبرى وقد احضر معه ثلاث حقائب جلدية كبيرة فيها جببهم جميعا ...

ويبدأ الخياط يلبس زملاءه واحدا واحدا جببهم حتى يأتي الدور اليه فيرتدي جبته ثم ينتقل الى مدرس التفسير الذي اخذ على عاتقه ان يلف العمامات للطلبة يمد له يده بطربوشه ليلف له عليه العمامة ..

غير ان مدرس التفسير ما كاد يفرغ من لفها حتى انفرطت من بين يديه فعاد يحاول لفها من جديد لتنفرط مرة اخرى .. فيعود يلفها لثالث مرة وهو يقول له :

ـ انت منحوس .. ستكون شيخا منحوسا ..

وينظر زملاء سامي لقامته القصيرة في الجبة والعمامة حتى يضحك منه احدهم فيضحك معه باقي الطلبة ويغضب منهم الناظر وسامي يفكر .. ترى لماذا يضحكون .. ألانه صغير السن ... ام لان قامته قصيرة؟!

ويشغل هذا السؤال بال سامي .. حتى يسمح لهم الناظر بأن يذهبوا الليلة للمبيت في بيوت عائلاتهم ، حيث يقصد الى منزله تحت المطر تستقبله امه على باب الدار دون ان تعرفه في لباسه الجديد اول الامر .. حتى تلحظه عينها اخيرا مع فرحتها بلباسه الجديد تسأله وقد بلله المطر :

ـ لكن ما هذه الدموع التي على عينيك ووجنتيك .. لماذا يا حبيبي.. اتبكي لانك اصبحت شيخا ... لماذا يا ..

تسأله ذلك السؤال .. وزوجها يقبل متعجبا منها .. يخبرها ان ما على وجهه انما هو قطرات من المطر وليست دموعا .. بينما اخذ يساعده في خلع عمامته وجبته باسما في وجهه يدعو له .. وسامي يقف امام المرآة يمسح وجهه ثم يتطلع الى المرآة هائما يفكر .. لا يدري ان كان حقا يمسح عن وجنتيه قطرات من المطر او دموعا ..

هكذا ينتهي الفصل الثاني من الرواية .. متشابك النسيج النفسي.. ملتحم العلاقات العاطفية بين ابطال القصة .. مصورا احساسا نفسيا متجاوبا في تصاعد هارموني ينسق علاقات ابطال القصة بعضهم ببعض في اداء سليم .. يؤكد في حدود ما نشر من الرواية حتى الآن .. ان التجربة الفنية اوالمعاناة النفسية عندكاتب الرواية من حيث هي مصدر لمادته الفنية في انتاجه قد تكاملت بشكل سليم .. كما اعطت هذه التجربة الفنية واللاشعورية خلال المراحل التي مرت بها تلك التجربة

التي مر بها سامي بطل القصة حتى الآن ..

القمر خلف الجبل

والقمر خلف الجبل قصة للاستاذ مطاع صفدي تصور تجربة فتاة عربية تحيا الواقع الشرقي الذي يسور حياتها بسور سميك من القهر التقاليدي .. لا تستشعر معنى لارادتها .. ولا تمارس اي مدلول حقيقي يعبر عن وجودها .. لان قضية الاختيار في حياتها حق لم تكسبه بعد .. حتى تخوض هذه التجربة التي تفسرها قصة القمر خلف الجبل .. تجربة فتاة صغيرة جميلة .. في الرابعة عشرة من عمرها تصحو لصباها ذات يوم لتسمع لامها تحدثها اثناء اصطحابها لزوج لا تعرف عنه شيئا .. لم تره ولم تحبه ولم تقل فيه رأيا على الاطلاق .. لتتزوجه .. هكذا .. بالامر .. بلا احترام لحرية اختيار او اعطائها فرصة لممارسة عواطفها ...

ويسرد لنا الاستاذ مطاع صفدي قصته مبتدئا بلقاء بين بطل القصة وبطلتها عن طريق احدى صديقاتها في نزهة سيارة حيث يتعرفان على بعضهما حين يختليان ببعضهما في تلك النزهة خارج ضواحي دمشق ... فيعرف انها قد تزوجت في الرابعة عشرة ثم طلقت من زوجها بعد سنوات دون ان تستجيب لرجل مهما كانت ميزته .. حيث ظلت عذراء .. عذراء الروح والجسد ..

لكن هذه العذراء .. هذه المرأة .. يحدث لها الامر الذي يحدث عادة لكثير من النساء فتحب بطل القصة .. وتتواعد معه منذ لقائها الاول به ليلتقيا سرا ... وليأخذها الى منزله .. حيث يصف لنا الاستاذ مطاع صفدي ما حدث بينهما في حجرة النوم فيقول :

« ومن بصيص سيجارته وهو مستلق على السرير .. كان جو الغرفة ما يزال عميق الظل .. وعندئذ لم يبق لملاءة النوم ثمة وجود .. فقد اصبحت اشبه بالهباب الاثيري المغلف دون غلاف لقامة انثوية صغيرة من لهب مرصوص .. » ثم يصف كاتب القصة لنا في نصف صفحة ما يحدث في حجرة النوم ابتداء من « وبلغت حافة السرير واستلقت على ظهرها الى جانبه » .. حتى كان القمر ما زال خلف الجبل .. وقد انهار الصمت والرمز والمجهول الحلو الذي غلف كل شيء في هذه الغرفة الضائعة من خارطة الوجود فقد زعقت اميره بصرخة مرعبة جعلت رفيقها يقبض على خصرها ويضمها الى جذعه بقوة شيطانية خارقة .. »

ولا اريد ان استمر في عرض بقية القصة .. لان هذا يمكن ان يعبر عن نهايتها ..

ولكن الذي يستوقفني من علامات طريق هذه القصة ثلاث علامات .

اولا .. المفهوم البنائي الانساني الذي يكمن وراء ابعاد حكاية القصة .. وجلال ما يعبر عنه واقع الفتاة العربية التي من حقها ان تعطش للحب .. لحنو الرجل .. حتى لتندفع في غير طريق بناء حياتها حين لا تمارس حقها في اختيار اخص خصائص وجودها .. وهذا هو ما احب ان يكون جوهر التجربة التي عاناها الصديق كاتب القصة .. بصرف النظر عن منهجيته او تخطيطه لاحداثها ..

اما العلامة الثانية فهي المزج الرائع الاداء بين وصف الجو وتحريك ابطال القصة من خلال الزمان وقمة الانفعال بالحدث مع استبطان الخواطر والاحاسيس التي كانت تمور في وعاء بطلي القصة الداخلي .. وهذا طبعا لا يلغي رأيي في ان المؤلف قد اضفى على الحوار بين بطلي القصة جوا فلسفيا اعتقد ان الوصف في القصة ونتائج الحدث نفسه كانت تغني عنه ..

اما العلامة الثالثة التي كنت احب ان تفسر لي .. فهي كيف كان بطل القصة يود ان يبدأ مع بطلتها شيئا جديدا .. شيئا حقيقيا .. وكيفية افتراس الواقع لها وهي في الرابعة عشرة من عمرها .. ثم معنى ان ينتفض قائلا لها انك ستبقين عذراء .. انك حرام على كل رجل .. ثم يتشبث بها ثانية .. حتى تدرك الفرق بينه وبين كيس اللحم صاحب الذهب والبنادق الذي هربت منه ..

هذه العلامة التي كنت احب ان تفسر لي كل ذلك هي نوعية نسيج العلاقات الاجتماعية .. او نوعية عمل بطل القصة او المضمون الطبقي لكل منهما .. اوحت شيئا عن اسرة البطلة او افكار البطل الخاصة ... لان مثل هذه العناصر في بناء القصة الفني يمكن ان تعطي للقارىء افكارا تحدد موقفه من القصة .. كما تعطي استجابات معينة لبعض مواقفها كما قد لا تعطي اقتناعا اطلاقا بأي تصرف من تصرفات ابطال القصة مهما قيل ان فكرة القصة تعبر عن ازمة امرأة ورجل .. فهذا ما ارفضه .. رغما عن اعجابي باسلوب عرض القصة الذي كان يمكن ان يكون رائعا في رأيي لولا حكاية الكاميرا القلمية التي استعملها الكاتب في حجرة النوم ...

اثنتان وثلاثون طلقة

اما قصة « اثنتان وثلاثون طلقة » قصة الاستاذ عثمان سعدي فهي قصة مقاومة بطل جزائري ..

جندي جزائري يحارب في سبيل تحرير الجزائر .. تبدأ القصة في تقديمه لنا جريحا مغمى عليه في الجبل ..مصابا بطلق في فخذه واصابة اخرى في اذنه .. يصحو لنفسه من اغماءته يشكو شدة الالم .. وهو يتذكر لماذا يوجد هنا ..

انه يجتر صورا وافكارا كثيرة عن واقع حياته ووجوده ملقى هكذا .. وكيف اصيب في معركة بينه وبين الجنود الفرنسيين بعد ان غادر صفوفهم وانتقل ليحارب مع ابناء وطنه الجزائريين من اجل تحرير الوطن ..

والجندي صالح بطل القصة حين تبتدىء سلسلة خواطره تمر بذهنه يحكي لنا في تسلسل فني موفق كيف انه لا يزال يذكر ذلك اليوم الذي

تاريخ جرح

مجموعة قصص سورية وغربية

للاستاذ فؤاد الشايب

*

في قصور الخلفاء

مجموعة طرائف عن الحياة الاجتماعية في

العصور العباسية

للدكتور صلاح الدين المنجد

يطلب الكتابان من دار المكشوف - بيروت

دفعته فيه انفته من ان يعيش عالة على ابيه الى التطوع في الجيش الفرنسي .. ثم كيف ذهب الى الهند الصينية ليحارب في صفوف فرنسا حتى عادوا به الى الجزائر وقالوا له ولمن معه انكم ستحاربون « الفلاكة » .. وادرك ان الفلاكة هم جزائريون مثله عرب ومسلمون ... وكيف هرب مع بضعة بنادق وقنابل الى صفوف المجاهدين الجزائريين ابناء وطنه يقاتل بينهم اعداء بلاده حتى يقع اسيرا في احد المعارك بين يدي احد الضباط الفرنسيين الذين يعرفونه معرفة جيدةفيسبه ويلعنه ويرفع رشاشه ليفرغ كل خزائنها في رأسه ويتركه جنود فرنسا حيث نلتقي به في اول القصة مصابا في الجبل غائبا عن رشده ... قبل ان يفيق ..

اما ملاحظاتي على هذه القصة الرائعة المضمون .. فهي ملاحظات عابرة يمكن ان نلخصها في الآتي :

١ ـ اساس الحادثة يحمل بين طياته افتعالا ظاهرا .. اذ ليس من المعقول ان يضرب البطل برشاشة معبأة باثنتين وثلاثين طلقة من ضابط مفروض فيه اجادة الهدف اثنتين وثلاثين طلقة دون ان يصاب الا بطلقة واحدة في طرف اذنه .. في الوقت الذي كان كاتب القصة يستطيع ان يتحاشى ذلك الافتعال بجعل بطل القصة يصاب بطلقة واحدة ثم يهرب من الجنود الفرنسيين ..

٢ ـ طريقة العرض لحادثة القصة محشوة بالفاظ ضخمة غير طبيعية .. المقصود منها فيما اعتقد هو اشعال نار الحماس في نفس القارىء .. وقد كان من الممكن الاستغناء عنها بما تحمله القصة فعلا من امكانيات الاثارة وصور البطولة التي اجاد الكاتب التعبير عنها بشكل اخر ..

٣ ـ الاجترار النفسي للصور والاحاديث عند بطل القصة وهو ملقى مصاب في الجبل في اول القصة .. كان من الطبيعي ان يحمل الى ذهن بطل القصة صورا من مكان وجوده .. او صورا ذهنية قريبة منه .. او بعيدة مشوشة .. وليست واضحة هكذا .. ومنطقية بعيدة الفور ... ذكية .. ومزدهرة بالوجدان الوطني هكذا ..

٤ ـ الحوار بين بطل القصة والاطفال الذين انقذوه لم يكن طبيعيا .. في السرد او الموضوع .. ويبدو لي ان الكاتب قد حمل الاطفال وواقعهم حماسا اكثر من اللازم .. وانا لا انكر وجود بطولات اطفال عرب كهذه البطولة .. لكن البطولات تحدث بسيطة .. وعادية .. وساذجة احيانا كثيرة .. وتحمل في نفس الوقت ضخامة عظمتها ..

٦ ـ شيء آخر احب ان اشير اليه .. ذلك هو اعجابي بالوصف والسرد الرائع خلال عملية التقاء صالح بزملائه المناضلين الجزائريين حين هرب اليهم صالح .. ثم موقفه من الجندي الحارس الذي اخذه الى مكان قيادة المناضلين الجزائريين .. لقد كان هذا الجزء من القصة يمثل قمة جلال الروعة في الاداء الفني عند الكاتب .

وبعد ...

فهذه مجرد اشارات لعلامات قابلتني في طريق هذه القصص الثلاث من عدد الاداب الماضي .. ارجو ان يتقبلها اصدقائي كتاب تلك القصص وانا خفيف الوزن على قلوبهم .. ولهم اطيب التحيات ..

القاهرة — محمد صدقي

كتاب الغد

مجموعة كتب أدبية
شعارها : القراءة للمتعة

باشراف

كامل مهدي

يصدر قريبا جدا :

حرمان ...

حبيبي الاسمر

منشورات
المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر